Language Art, 9(3): pp. 21-38, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.14 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۹، شماره ۳، سال ۲۰۲۴، از صفحه ۲۱ تا ۳۸

الصّوت اللّغويّ في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدّين السيوطي (ت ۹۱۱ه)

الدكتور محمد سحواج [1]©
أستاذ قسم اللغة والعربية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،
الشلف، الجزائر.

الدكتور عمر إكني [2]
كلية الآداب و الفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،
الشلف، الجزائر.

(Received: 30 January 2023; Accepted: 26 August 2024; Published: 1 September 2024)

ملخص

اللغة عبارة عن نظام صوتي، يتواصل به البشر فيما بينهم، بفضل ما رزقهم الله به من نعم لا تعد ولا تحصى، عن طريق الأعضاء التي وحدها من تستطيع تحقيق هذه الوظيفة ،وعليه فارتأينا أن نبني بحثنا على دراسة وصفية تحليلية في موضوع الصوت اللغوي من خلال كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت: ۹۱۱ه)، وذلك بغرض استخراج جملة من قضايا الصوت اللغوي التي تناولها السيوطي في كتابه، فوجدناها تنتمي لحقلي :علم القراءات وعلم الأصوات، وسلكنا في ذلك طريق المنهج الصوتي الحديث الذي سار على نهجه علماء العصر الحديث، فتوصلنا إلى نتيجة مفادها أنّ هذا الكتاب يدرج ضمن المراجع القيمة في هذا الميدان، والتي لا غنى للعلم الحديث والمعاصر عنها.

الكلمات الأساسية: الصوت اللغوي، السيوطي، علم القراءات، علم الأصوات، الإتقان في علوم القرآن.

[1]E-mail: m.sahouadj@univ-chlef.dz © (المؤلف المسؤول)
[2]E-mail: o.ikni@univ-chlef.dz

مقدمة:

الحمد لله جاعل كتابه المبين هداية للخلق أجمعين، جاء فيه نبأ الأولين والآخرين، وأصلي وأسلمُ على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أما بعد:

إنّ اللّغة العربية من أسمى اللّغات، وأرفعها منزلةً، بها نزل القرآن الكريم، الذّي أكسبها شرفًا وسموًا وانتشارًا في هذا العالم الممتد، وكذلك بفضل علماء أجلاء كرسوا حياتهم من أجل خدمة هذه اللّغة والمحافظة عليها، ومن بين هؤلاء العلماء، العالم الفذّ "جلال الدّين السيّوطي (ت: ٩١١ه)، وذلك لماله من جهود لغوية من خلال مصنفاته ومؤلفاته القيّمة، ومنها: الإتقان في علوم القرآن الذّي سيكون محور بحثنا، وعليه وسَمْنا العنوان بـ: "الصّوت اللّغوي في كتاب الإتقان في علوم القرآن - المجد الأول – للإمام جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيّوطي (ت: ٩١١ه)".

تحديد مشكلة البحث:

مفصلنا إشكالية بحثنا والتي تتمحور حول أهم مباحث الدّرس الصّوتي في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيّوطي (ت: ٩١١ه) – إلى سؤاليّن محوريّن، وهما:

أ- ما هي أهم المباحث الصوتيّة التّي تطرق إليّها السّيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن – المجلد الأول-؟

ب- وما مدى إسهامه في الدّرس الصّوتي العربيّ؟

محتويات البحث:

١-مفهوم الصّوت اللغوي؛

٢-المخارج والصّفات في الإتقان لدى جلال الدّين السيّوطي؛

أ- المخارج في الإتقان؛

ب- الصّفات في الإتقان؛

٣-من التّلوينات الصّوتية للصوائت العربيّة في الإتقان لدى جلال الدّين السيّوطي:

أ- المد؛

ب- الإمالة؛

ت- الإشمام؛

ث- الروم؛

٤-من التّلوينات الصّوتيّة للصّوامت العربيّة في الإتقان، لدى جلال الدّين السيّوطي؛

أ- تخفيف الهمز؛

ب- الإدغام؛

جـ-الإبدال؛

من أهداف هذا المقال:

تسليط الضوء على بعض القضايا الصوتية عند السّيوطي ومعالجتها بما يتلاءم وروح العصر.

المنهج:

وظفنا المنهج الوصفي في الكشف عن أهم القضايا الصّوتية التي وردت في الإتقان لجلال الدّين السيّوطي (ت: ٩١١ه)، ثم حللنها وفق ما جاء به الدّرس الصّوتي الحديث.

١-مفهوم الصّوت اللّغوي:

تعدّدت آراء القدامى والمحدثين حول هذا المصطلح، غير أنّهم لم يكتفوا بتبيان مفهومه فقط، بل اجتهدوا في التّنظير والتطبيق لهذا الموضوع، ومن العلماء القدامى الذي أعطوا تعريفات خاصة بهذا المصطلح، نذكر ابن جني(ت: ٣٩٢ه) الذي أشار إليه بأنه عبارة عن "أثر سمعي حاصل من احتكاك الهواء بنقطة من نقاط الجهاز الصوتي، عندما يحدث في هاته النقطة انسداد كامل أو ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور مثل

الباء، التي هي نتيجة انسداد كامل للشفتين ومثل السين الذي هو نتيجة انسداد ناقص في أطراف الأسنان" (ابن جني ١٩٩٣، ٦).

عرّفه ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) بأنه "عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها" (ابن خلدون ٢٠٠٤، ١٣٠).

ومن المحدثين الذين كتبوا في هذا الفن محمد حسين علي الصغير الذي وضع له تعريفا يعني:"تتبع الظواهر الصوتية لحروف المعجم العربي، وفي القرآن العظيم بخاصة، وذلك من حيث مخارج الأصوات ومدارجها وأقسامها وأصنافها، وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس والشدة والرخاوة، وملامح صوائتها وصوامتها في السكون وعند الحركة،وضوابطها في الأطباق والانفتاح، مما يتهيأ تنظيره من القرآن، ويتوافر مثاله الفريد من الكتاب، ضمن موازنة محدثة، ورؤية صوتية معاصرة،استلهمت التراث في تراثه،والجديد في إضاءته..." (علي الصغير ٢٠٠٠، ١٦-١٥).

وجملة القول فإنّ الصوت اللغوي عبارة عن اشتراك تحدثه مجموعة من الأعضاء التي تقوم بعملية النطق وهي: الرئتان، والحنجرة والوتران الصوتيان ولسان المزمار، والحلق، واللسان، واللهاة، والحنك، واللثة، والأسنان، والشفتان، الفك العلوي، وكذا الفك السفلي كاملين، فإذا انعدم أحد أعضاء الإنسان حدث خلل في الصوت والنطق.

٢-المخارج والصفات في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال السيّوطي:

وفي هذا المبحث سوف نعرض السّمات التي يتسم بها الصّوت المجرّد في الإتقان في علوم القرآن "لجلال الدين لسيوطي، حيث نبيّن أنّ "لكل صوت مخرج وصفة تميّزه عن الأصوات الأخرى" (ابن الحاجب ١٩٨٢، ٢٥٠)

أ- مخارج الحروف في "الإتقان" لجلال الدّين السيّوطي في البداية استخلص السيّوطي مخرج الحرف من القراء، فقال: تحقيق مخرج الحرف بان تلفظه بهمزة الوصل وتأتي بالحرف بعده ساكنا او مشددًا فتبيّنه ثمّ تناول قضية مخارج الحروف، وعددها"(السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٦-٢٠٥).

ب- كما بيّنها ابن الجزري في مؤلفة "النشر في القراءات العشر، فعدّها سبعة عشر مخرجًا، هي كالآتي:

المخرج الأول: الجوف للألف، والواو والياء السّاكنتين بعد حركة تجانسهما.

الثاني: أقصى الحلق، للهمزة والهاء.

الثالث: وسطه، للعين والحاء المهملتين.

الرابع: أدناه للفم، للغين والخاء.

الخامس: أقصاه اللّسان ممّا يلي الحلق، وما فوقه من الحنك للقاف.

السّادس: أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً، وما يليه من الحنك للكاف.

السّابع: وسطه، بينه وبين وسط الحنك، الجيم والشّين والياء.

الثامن: للضاد المعجمة، من أوّل حافّة اللّسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر، وقيل: الأيمن.

التّاسع: اللاّم من حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرفه، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى.

العاشر: للنون من طرفه، أسفل اللاّم قليلاً.

الحادي عشر: للرّاء من مخرج النّون لكنها أدخل في ظهر اللّسان.

الثاني عشر: للطّاء والدّال والتّاء من طرف اللّسان وأصول الثنايا العليا مصعدًا إلى جهة الحنك.

الثالث عشر: الحرف الصّفير: الصّاد، والسّين، والزّاي، ومن بين طرف اللّسان وفُويق الثنايا السّفلى.

الرابع عشر، للظّاء، والتّاء، والذّال، من بين طرفه وأطراف الثنايا العليا.

الخامس عشر: للفاء في باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

السابع عشر: الخيشوم للغنة في الإدغام والنّون والميم الساكنة.

وأمّا عند تتبعنا لمخارج الحروف عند المحدثيّن (أحمد مختار ١٩٨٥، ٣١٥)، فهي عشرة مرتبة ترتيبًا تنازليا من الشفتين نزولا إلى الحنجرة، نوردها على النحو الآتي:

- الشفتان: الباء والميم والواو.
- الشفة والأسنان: الفاء.
- الأسنان واللّثة: الدّال والضّاد، والتّاء والزّاي والسّين والصّاد.
- الأسنان: الذّال والثاء والظاء.
- اللّثة: اللاّم والراء والنّون.
- الطبق الصلب الغار: الشّين والجّيم واليّاء.
- الطبق اللّين: الكاف والغين والخاء والواو.
- اللهاة: القاف.
- الحلق: العين والحاء.
- الحنجرة: الهاء والهمزة.

ومن هنا، لابدّ انّ نشير إلى الجوانب الصّوتية المشتركة بين ما أورده السيّوطي وما توصّل إليه الدّرس الصّوتي الحديث فيما يخصّ مبحث مخارج الحروف، حيث تتجلى هذه الجوانب الصوتية المشتركة بين السّيوطي والدرس الصوتي الحديث، في النقاط الآتية:

أ- أورد السيوطي صوت الهمزة في بداية مجموعة الأصوات الحلقية، وبهذا يتفق مع الدرس الصوتي الحديث في هذه القضية، إلاّ انّه يختلف معه في تسمية المخرج، فمخرج الهمزة عند السيوطي يسمى "أقصى الحلق[1]" أما لدى المحدثين فهو الحنجرة[2].

ب- تناول السّيوطي في "الإتقان" الأصوات ضمن مجموعة صوتيّة، أي وفق مخرج واحد مثل: أصوات الجيم والشيّن واليّاء ومخرجها وسط اللّسان وبين وسط الحنك، واصوات الباء والميم والواو ومخرجها ما بين الشفتين. أما الدّرس الصّوتي الحديث فينسب مجموعة أصوات الجيم والشين والياء إلى المخرج الغاري، وأما مجموعة أصوات الضاء والثاء والذال فينسبها إلى المخرج الأسناني، وأمّا مجموعة أصوات الباء والميم والواو فيصنفها ضمن المخرج الشفوي. يتفق السّيوطي (ت: ۹۱۱ه) مع الدرس الصوتي الحديث في التّرتيب الصّوتي والتصنيف المخرجي، وتختلف معه في تسميّة المصطلح، ومنها:

مخرج طرف اللّسان وما فوقه في الدّرس الصّوتي الحديث يسمّى المخرج الغاري[3] وأمّا مخرج طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا فيسمّى عند المحدثين بالمخرج الأسناني[4]، وأمّا مخرج ما بيّن الشفتيّن فيطلق عليه مصطلح المخرج الشفوي[5].

وخلاصة القول إنّ التصنيف المخرجي للأصوات في الإتقان للسيّوطي:

المقتبس من عند النحاة كالخليل في كتابه العين (الفراهيدي، ۲۰۰۲)، ومن عند القراء كابن الجزري، يتفق مع الدّرس الصوتي الحديث، ولنا مثال على ذلك: فمخرج الأصوات الحلقية الستّة في الإتقان موزعة حسب المخارج الآتية:

أقصى الحلق للهمزة والهاء، أمّا وسط الحلق فهو للغين والحاء، وأمّا أدنى الحلق فهو للغين والخاء، فهاته الأصوات الستّة وزعها المحدثون على ثلاثة مخارج تختلف في التّسمية فقط، فمخرج "الحنجرة" يقابل "أقصى

[1] Gorge Maximale
[2] Larynx
[3] palatal
[4] Dental
[5] Labial

الحلق" في الإتقان، أمّا مخرج "الحلق" فيقابل "أوسط الحلق" في الإتقان، وأما مخرج "الطبق" فيقابل في الإتقان مصطلح "أدنى الحلق".

ت- صفات الحروف في "الإتقان" لجلال الدّين السيّوطي:

وردت في "الإتقان" للسيّوطي في مبحث صفات الحروف في اللّغة العربيّة عبارة "قال في النشر" (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٦)، أي أنّ الحروف التي ذكرها في الإتقان اقتبسها من كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، حيث بيّن ابن الجزري كل صفات الحروف في اللّغة العربية بالتفصيل (ابن الجزري د ت، ٢٠٣-٢٠٢) إلاّ أنّ السيوطي تناولها بالخلط والاختصار، على الرّغم من هذا تتجلّى لنّا صفات الحروف من خلال النص الذّي أورده في الإتقان، يقول فيه: "قال في النشر: فالهمزة والهاء اشتركا مخرجًا وانفتاحًا واستيفالا، وانفردت الهمزة بالجهر والشّدة، والعين والحاء كذلك وانفردت الحاء بالهمس ... النطق بكل حرف على حدّته موفي حقّه" (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٦).

ونستشف من هذا النّص بعض من صفات الحروف، وهي كالآتي:

- **الجهر**[1]: وقد حصر السيّوطي عدد حروف بتسعة عشر حرفًا، وهي: الظّاء، والأم، والقاف، والواو، والرّاء، والباء، والضاد، والهمزة، والذّال، الزّاي، والألف، والجيّم، والنّون، والدّال، والميّم، والطّاء، واليّاء، والعين، والغين، إلاّ أنّ الدّرس الصّوتي الحديث يقرّ بخمسة عشر صوتًا مجهورًا، مرتبة كالآتي: "الباء، والجيم، والدّال، والذّال، والرّاء، والزّاي، والضّاد، والظّاء، والعين، والغين، واللاّم، والميّم، والنّون، والواو، واليّاء" (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٦).
- **الهمس**[2]: ذكره السيّوطي في الإتقان وحصره في عشرة حروف، هي:

السيّن، والتّاء، والشين، والحاء والثاء، والكاف، والخاء، والصّاد ولفاء، والهاء" (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٦)

ولقد أضاف إبراهيم أنيس إلى هاته الأصوات المهموسة صوتي الطاء والقاف، ورتبها على النحو الآتي: التّاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسيّن، والشيّن، والصّاد، والطّاء، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء (أنيس ١٩٧١، ٢٢)

وإذا قارن بين مجموعتين الأصوات المجهورة والمهموسة في "الإتقان" لدى السيّوطي، وما ذكره إبراهيم أنيس فيما يخص جهر وهمس الأصوات في اللغة العربيّة، نجده قد اختلف في بعض الأصوات التي عدّها مهموسة في حين أوردها السيوطي مجهورة، ومنها أصوات القاف والطّاء والهمزة.

وقدم إبراهيم أنيس (أنيس ١٩٧١، ٧٢) تعليلات لوصف القدامى لصّوت "القاف" بالجهر، فقال: القاف "القديمة المجهورة تنطق".

أ- غينًا وهي القاف الشائعة في القبائل العربيّة في جنوب العراق، والسّودان.

ب- جيما قاهرية (g): وهي لغة البدو، وأهالي صعيد مصر في الوقت الحاضر.

وأما صوت الطاء فعبر رحلته الطويلة خضع للتّغييرّ؛ هذا التّغيير يعكس بيئات انتقلت من صعوبة في العيش إلى رغد ورفاهية، هذا التحول المعيش، أثر بدوره على نطق بعض الأصوات، ومنها: الطاء.

***الشدة**[3]:

بيّن السيوطي في "الإتقان" حروف الشّدة وحصرها في ثمانية، هي: الهمزة، والجيم، والدّال، والباء، والكاف، والقاف، والطاء، والتاء.

أمّا الأصوات الشّديدة عند إبراهيم أنيس (أنيس ١٩٧١، ٧٣) فهي كالآتي: "البّاء، والدّال، والتّاء، والطاء، والضّاد، والكاف، والقاف".

[1] Sonority

[2] Voiceless

[3] Plosive

ومن خلال هذا العرض الصّوتي لجلال الدّين السّيوطي وإبراهيم أنيس، يتجلى لنّا أنهّما اتّفقا في مسألة عدد الحروف الشديدة، واختلفا في تركيبة هذه الحروف الشديدة تجمع عند السيوطي في أجد قطبتك، أما إبراهيم أنيس فجمعها في (أقض دك طبت).

ويبدو أنّ هذا الخلاف الصّوتي بيّن القدامى والمحدّثين، أو بيّن السيّوطي وإبراهيم أنيس حول صوت الجيم، يعود إلى عمليّة تطورات هذا الصّوت على ألسنة الناطقين به في بيئاتهم المختلفة (أنيس ۱۹۷۱، ۲٦)

وهناك خلاف آخر يتمثل في تسمية المصطلح، فمصطلح "الشّدة" في "الإتقان" لدى السيّوطي يقابله في الدّرس الصّوتي الحديث "الانفجار" أو "الانسداد".

***-الرخاوة[1]:**

وردت حروف الرّخاوة في "الإتقان" للسيّوطي نحو ثلاثة عشر حرفًا، هي "الهاء، والحاء، والغيّن، والخاء، والشيّن، والصّاد، والضاد، والزّاي، والسيّن، والظاء، والثّاء، والذّال، والفاء".

أما في المقابل فتجلت الأصوات الرخوة عند المحدثين (أنيس ۱۹۷۱، ۲٦) على النحو التّالي:

"السّين، والزّاي، والصّاد، والشيّن، والذّال، والثّاء، والظاء، والفاء، والهاء، والحاء، والخاء، والغيّن".

وإذا تأملنا الأصوات الرخوة عند كل من السيّوطي والمحدثين، نجد انّ السيّوطي خالف المحدثين في تصنيف صوت "الضاد" فهو عنده "رخو" في حين يعدّه المحدثون من الأصوات الشّديدة أو الانفجارية.

وسبب الخلاف في تصنيف صوت "الضاد" بين المحدثين وما ورد في الإتقان، يمكن انّ نرجعه إلى السببيّن الآتييّن:

أ- لعل القدامى(النّحاة أو القراء) وضعوا صفات الضّاد المولدة، لا الضّاد العربيّة الأصليّة" (البشر ۲۰۰۰، ۱۳۷).

ب- الفرق في وصف الضّاد بما جاء به السيّوطي في "الإتقان" وما أثبتتّه الدّراسات الصّوتية الحديثة، يرجع هذا الفرق إلى التّغيير والتّطور الطبيعي، والانتقال الجغرافي في بيئة صحراوية واسعة لبدوية متنقلة، وريفية متقدمة، إلى مدينة متحضرة، فلا بد أن يرافق هذا التّطور تَغَيُّرٌ في نُطق فونيم الضاد عبر السياق الكلامي في البيئات المختلفة، حيث تطوّر هذا الصوت الرخو إلى شديد يعكس بدوره صورة سليمة معبرة عن الواقع الجديد (أحمد مختار ۱۹۸۸، ۱۲۲).

وهناك اختلاف آخر يتمثل في تسمية المصطلح "الرخاوة" الذّي ورد في الإتقان للسيّوطي، يقابله مصطلح "الاحتكاك" في الدّرس الصّوتي الحديث.

***الإطباق[2]**

وحروفه كما وردت في "الإتقان" للسّيوطي، فقال:"... والضّاد والظاء اشتركا جهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقًا... وانفردت الطّاء بالإطباق والاستعلاء... وانفردت الصّاد بالإطباق والاستعلاء ..." (السيوطي ۲۰۰۷، ۲۰٦).

وفي المقابل عرض أحمد مختار عمر الأصوات المطبقة، فقال:" فصل العرب، الأصوات المطبقة... وذكروا أنّها الضّاد، والصّاد، والطاء، والظّاء" (أحمد مختار ۱۹۸۸، ۱۱٦) من خلال هذا القول الذّي حدّد فيه أحمد مختار عمر الأصوات المطبقة، تتجلى لنّا صورة في التّوافق بينه وبين ما ورد في "الإتقان" للسيوطي.

***اللّين والمدّ[3]:**

ظاهرة صوتيّة أوردها السيّوطي في سياق كلامه عن مخرج الحروف الجوفيّة، فقال: "كثير من الفريقين، قالوا: ستّة عشر، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية، وهي حروف المدّ واللّين، وهي: الألف، والواو، واليّاء (السيوطي ۲۰۰۷، ۲۰۵)، وقال أيضا: "التّحقيق وهو إعطاء كلّ حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات ... وببيان الحروف، وتفكيكها ..." (السيوطي ۲۰۰۷، ۲۰٤).

[1] La fricative

[2] La Velarisation

[3] Diastole

وانطلاقا من هذين القوليّن نستخلص ما يلي:

أ- أن الألف واليّاء والواو هي حروف مدّ ولين.

ب- الألف والياء والواو حروفٌ جوفيّةٌ.

ت- الحركات والحروف وردتا عند السيّوطي وأما عند المحدثين فلا نعثر على خلاف في عدد أصوات المدّ وطبيعتها وبين ما ذكرهُ السيّوطي في الإتقان، وما ورد عند إبراهيم أنيس في قوله: "وأصوات الليّن في اللغة العربيّة هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة، وكسرة، وضمة، وكذلك ما سمّوه، بالألف اللّينة، واليّاء اللينة، والواو اللّينة، وما عدا هذا فأصوات ساكنة" (أنيس ١٩٧١، ٢٩).

اتفق إبراهيم أنيس مع ما جاء به السيّوطي في الإتقان فيما يخص حروف المدّ واللّين وعددها. إلاّ أنّ الباحثين العرب (إبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر، وتمام وحسّان، وكمال بشر) اختلفوا معه في إعطاء المقابل، للمصطلح، يتجلّى من خلال الجدول الآتي:

الباحث	الحركات	الحروف
السيّوطي	الحركات وحروف المدّ واللّين	الحروف
إبراهيم أنيس	الحركات القصيرة V والحركات الطويلة V V	الأصوات السّاكنة C
أحمد مختار عمر	العلّات القصيرة (i) (a) (u) والطويلة (ii) (aa) (uu) أو الصوائت	السّواكن ص أو الصوامت ص
تمام حسان	العلّات القصيرة (ع) العلّ الطويلة (ع ع)	الصّحاح 'ص)
كمال بشر	الحركات القصيرة والحركات الطويلة أو الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة	الأصوات الصّامتة أو الصوامت

من الجدول يمكننّا استخلاص ما يلي:

أ- اختلاف الباحثين المحدثين العرب في إعطاء المقابل للمصطلحين (الحركات) و(الحروف)، فعدد المصطلحات بعدد الباحثين تقريبًا.

ب- اعتماد الباحثين المحدثين العرب على المصطلح القديم أو على ترجمة المصطلح الغربيّ؛ مما يجعل المصطلح الغربيّ الواحد يقابل مصطلحات عربيّة في الوقت نفسه، ممّا أدى إلى فوضى في المنظومة الاصطلاحيّة الصّوتية العربية الحديثة.

٣-من القضايا الصّوتية المتعلقة بالصّوائت (الحركات) في الإتقان لجلال الدّين السيّوطي (ت: ٩١١ه)

سنحاول في هذا المبحث أن ندرس التّلوينات الصّوتية المتعلقة بالصّوائت العربيّة في الإتقان لجلال الدّين السيّوطي (ت: ٩١١ه)، على النحو الآتي:

أ- المدّ.

ب- الإمالة.

جـ-الإشمام.

د-الروم.

أ-المدّ في الإتقان لدى السيّوطي:

يعدّ المدّ ظاهرة صوتية عبر عنها السيّوطي، فقال المدّ هو: "عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، وهو الذّي لا تقوم ذات حرف المدّ دونه (...) وحروفه الألف مطلقًا، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، واليّاء السّاكنة المكسور ما قبلها وسببه: لفظّي ومعنوي فاللفظي: إما همز أو سكون: فالهمز: يكون بعد حرف المدّ وقبله (...) فهو متّصل، نحو ﴿شاء الله﴾ أو ﴿السوءى﴾، أو منفصل، نحو: ﴿بما أنزل﴾، ﴿وقالوا آمنا﴾ (...) والسّكون: إمّا لازم: وهو الذّي لا يتغيّر في حاليه: نحو ﴿الضّالين﴾، أو عارض: وهو الذّي يعرض للوقف نحو: ﴿والحساب﴾﴿ويُوقِنُونَ﴾ ... (السيوطي ٢٠٠٧، ١٩٧).

نستنتج من هذا الكلام الذّي قدّمه السيّوطي ما يلي:

*أن المدّ هو مطّ الصّوت أو الزيادة أو الاكثار أو التّطويل؛ أي إطالة زمن جريان الصّوت بحرف من حروف المدّ الثلاثة صور صوتيّة خاصّة للمدّ ذكرها السيّوطي على النحو الآتي:

*مدّ الحجز: هو إدخال بين الهمزتين حاجزًا لتخفيف الاستثقال، في مثل قوله تعالى : ﴿ءَانذرتم﴾[البقرة: ٠٦].

*مدّ العدل: يقوم مقام الحركة في الحجز بين السّاكنين، نحو﴿الضالين﴾.

*ومدّ التّمكين: هو مدّ يلي الهمزة، ويعمل على تحقيقها وإخراجها من مخرجها، نحو: ﴿أُوْلئكَ﴾.

*ومدّ الروّم: هو مدّ يستخدم لتّليّن الهمزة، نحو: ﴿هأَنتُمْ﴾.

*ومدّ الفصل: يفصل به بيّن كلمتين متصلتين، نحو: ﴿بِمَا أُنزِلَ﴾.

*ومدّ الفرق: يفرق به بين الاستفهام والخبر.

ومدّ المبالغة: في قول: ﴿لاَ إله إلاّ الله﴾.

*ومدّ البدل من الهمزة: في نحو ﴿ءَادَمَ﴾.

ومدّ الأصل في الأفعال الممدودة : في نحو جَآء وشآء.

*وحروف المدّ لدى السيّوطي ثلاثة هي:

الألف مطلقًا، والواو السّاكنة المضموم ما قبلها، واليّاء السّاكنة المكسور ما قبلها.

*وأقسام المدّ عنده، هي:

المدّ الطّبيعي، والمدّ غير الطبيّعي، وهو الذّي يليه همز أو سكون، ويتجلّى في صور نطقيّة، هي: المدّ المتصل، والمدّ المنفصل، والمدّ اللاّزم، والمدّ العارض.

ومن هنا، كلّ ما أوردهُ السيّوطي عن المدّ، فقد أخذه عن ابن الجزريّ في كتابة النشر في القراءات العشر (ابن الجزري، د ت، ٣١٣-٣٢٥).

ويتفق السيّوطي مع الدّرس الصّوتي الحديث في تحديده لحروف المدّ، وهي ثلاثة، إذ يقول مكي درار: "المدّ، وهو الصّوت المضاعف للصائت القصير، المتمثل في الألف، والواو، والياء" (درار ٢٠١٠، ١٠٠).

ويختلف معه في تسمية المصطلح، فمثلا مصطلح المد المتصل (السيوطي ٢٠٠٧، ١٩٧)، وهو مدّ يكون بعد همز، نحو: شآء، أما عند مكي درار فيطلق عليه مصطلح المطل.

ب-الإمالة[1] في الإتقان لدى السيّوطي:

الإمالة لغة مشهورة، فاشية على ألسنة الفصحاء الذّين نزل القرآن بلغتهم؛ فالإمالة لغة عامة لأهل نجد من تميم وأسد وقيس، ويقال هي من الأحرف السّبعة، ومن لحون العرب وأصواتها.

وقد عالج السيّوطي ظاهرة الإمالة بقوله: "هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرًا، وهو المحض، ويقال له أيضا: الإضجاع والبطح؛ والمقصود "بالبطح" و "الاضجاع" تقريب الفتحة من الكسرة والألف من اليّاء فكأنّك بطحت الفتحة والألف، أي رميتها وأضجعتها إلى الكسرة والياء والكسّر قليلاً، وهو بين اللّفظين. ويقال له أيضا: التّقليل والتّلطيف، وبين بين ..." (السيوطي ٢٠٠٧، ١٨٤).

فالإمالة هي تقريب صوتيّ بيّن الفتّحة والكسرة وبين الألف واليّاء، أو تلوين صوتيّ، يلبس الصّيغة الممال حركتها، فالإمالة إذا هي اقتصاد وانسجام وتلوين (درار ٢٠١٠، ١١٣).

يتفق السيّوطي مع الدّرس الصّوتي الحديث، إلى حد كبير في قضية أنّ الإمالة هي اقتصاد وانسجام وتلوين، فقد عبّر السيّوطي عن هذه المصطلحات بالألفاظ الآتية: التقليل والتّلطيف وبين بين.

ثم فصّل السيّوطي الحديث عن الإمالة وأصنافها وفائدتها، فأشار إلى أنّ فائدة الإمالة تتمثّل في تسهيل وتخفيف النطق باللفظ؛ وذلك أنّ اللّسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللّسان، من الارتفاع (السيوطي ٢٠٠٧، ١٨٦).

[1] Inclination

كما ذكر حالات الإمالة (السيوطي ٢٠٠٧، ١٨٧-١٨٦) التي أوردها القرّاء العشرة إلاّ ابن كثير، وهي على النحو الآتي:

*الألف االمنقلبة عن اليّاء، حيث وقعت في القرآن في الاسم أو الفعل كالهدى، والهوى، والعمى، وأتى، وأبى، ويخشى.

*وألف التأنيث على (فعلى) بضم الفاء أو كسرها أو فتحها، نحو ضيزى، وطوبى، وموتى، والتّقوى.

*وما رسم في المصاحف باليّاء نحو (بلى).

*والواوي ما كسر أوّله أو ضم، وهو (الرّابا).

*ورؤوس الآي من إحدى عشرة سورة (طه، والنّجم،...)

*ولكل راء بعدها ألف بأي وزن كان كذكرى وبشرى.

*وكلّ ألف بعدها راء متطرّفة مجرورة، نحو: الدّار، والنّار.

*والألف من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال، وهي: زاد، وشاء، وجاء، وخاب، وران، وخاف، وزاغ، وطاب، وضاق، وخاق.

*هاء التأنيث وما قبلها وقفًا مطلقًا بعد خمسة عشر حرفًا يجمعها في قول: فجثت زينب لذود شمس".

نستنتج من الكلام الذّي قدّمه السيّوطي أنّ أصل الإمالة في الألف، وهي أن ينحو بها المتكلم نحو اليّاء أو الكسرة.

وبهذا تكون الإمالة عند السيّوطي وفق ما قرّره الدّرس الصّوتي الحديث، حيث يقول كمال بشر الإمالة هي: "الفتحة المشوبة بالكسّرة، وألف المدّ حين تمال، فتصبح مشوبة بنوع من الكسّر وهذا النّوع من الحركات أثر من آثار اللهجات المحليّة القديمة" (النوري ٢٠٠٧، ١٩٢).

بعد أن بيّنّا الإمالة عند كمال بشر نود أنّ نقابل فائدة الإمالة عند إبراهيم أنيس بما ذكره السيّوطي، ثم نحاول الربط بينهما.

من فوائد الإمالة عند إبراهيم أنيس، هي: التماس الخفّة واليّسر في النطق، وهذا ما يعرف "بنظرية السّهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أنّ الانسان في نطقه يميل إلى تلمّس الأصوات السّهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي" (أنيس ١٩٧١، ١٤٠).

أما فائدة الإمالة عند السيّوطي فهي تسهيل اللّفظ، لأنّ اللّسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللّسان من الارتفاع (السيوطي ٢٠٠٧، ١٨٦).

وإذا حاولنا الرّبط بين فوائد الامالة عند إبراهيم أنيس، وبيّن فوائدها لدى السيّوطي، فإننّا نجدها تتقاطع بعضها مع بعض، في درء الثقل والمشقة، وفي طلب السّهولة واليسّر أثناء النطق. وهذا ما يؤكّده الراجحي بقوله: "إن الغرض منها تناسب الأصوات وتقاربها في السيّاق، لأنّ النّطق باليّاء والكسرة انحدار وتسفل، بالفتحة والألف استعلاء وتصعّد" (براجشسترسر ١٩٩٤، ١٨).

جـ-الإشمام في الإتقان لدى السيّوطي.

الإشمام سمة بصرية يدركها القارئ؛ أي نقطة توضح فوق الحرف من الكلمة سواء كانت في البداية، أو في الحشو، أو في المنتهى. وفيه قال السيوطي: " هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقيل: أنْ تجعل شفتيك على صورتها وكلاهما واحد ويختص بالضمة" (السيوطي ٢٠٠٧، ١٧٨). ومن هنا يكون الإشمام مدركا بصريًا؛ أي يمكن رؤية وتبيين العضو المسؤول عن النّطق بالضّمة.

إنّ ما ذهب إليّه السيّوطي (ت: ٩١١ه) في تعريفه للإشمام، يتوافق مع ما ذكره الدّاني (ت: ٤٤٤ه) حين قال: "هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقال بعضهم: أنّ تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضّمة وكلاهما واحد، ولا تكون الإشارة إلاّ بعد سكون الحرف" (ابن أبي الشداد، أبو محمد المالقي ٢٠٠٣، ٥٧٤).

معنى هذا أنّ الإشمام هو الايماء إلى حركة الضّم المراد التّلفظ به من غيّر تصويت. وهو يختص بحركة الضمة فقط؛ لأن مخرجها من الشفتيّن، فيضّم المتكلّم شفتيه، فيرى السّامع ذلك، وأمّا الكسرة والفتحة فإنّ مخرجا لا

يراهما السّامع، لأن مخرج الكسرة من وسط اللسان وهو عضو غائب عن البصر، وكذلك الفتحة لما كانت من مخرج الألف وأصلها من الحلق وهو عضو غائب، أيضا عن البصر (ابن أبي الشداد، المالقي ٢٠٠٣، ٥٨٤).

تحدث بعض المحدثين عن مفهوم الإشمام، منهم: محمد الأنطاكي (الأنطاكية ١٩٦٩، ٢٤٠)، حيث تناول موضوع الإشمام وفق ما قدّمه القرّاء واللّغويون القدماء.

د-الرّوم في الإتقان لدى السيّوطي.

الرّوم علامة نطقية يدركها السّامع، وفيه قال السيّوطي: "هو عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم: تضعيف الصّوت بالحركة حتّى يذهب معظمها (...) ويختصّ بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور، بخلاف المفتوح؛ لأنّ الفتحة خفيفة، إذ خرج بعضها خرج سائرها، فلا تقبل التبعيض" (السيوطي ٢٠٠٧، ١٧٧).

وهذا الكلام اقتبسه السيّوطي من الدّاني (ت: ٤٤٤هـ)، إذ يقول: "الرّوم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم: هو تضعيف الصّوت بالحركة حتّى يذهب معظمها وكلا القولين واحد، وهو عند النحاة عبارة عن النطق بصوت خفي" (ابن أبي الشداد، المالقي ٢٠٠٣، ٥٧٤).

ومعنى هذا أنّ الرّوم هو إضعاف الحركة، وهذا الاضعاف يكون بالانتقاص من مدّته الزّمنيّة. ويمكنّنا إنهاء الحديث عن هذا العنصر الهام في التّلوينات الصّوتية المتعلقة بالحركات، بتقديم جدولٍ بيّنا فيّه بعض الفوارق بيّن الإمالة، والرّوم، والإشمام.

الخصائص / التلوينات الصوتية	نسبة الكميّة الصّوتية	نوع الإدراك	علامته السميولوجية	المقابل للنظام المتري
الامالة	١٠٠% من الحركة	سمعي	نقطة تحت الحرف	المتر(م)
الرّوم	٧٥% من الحركة	سمعي	خط فوق الحرف	الدّيسمتر(دسم)
الإشمام	٥٠% من الحركة	بصّري	نقطة فوق الحرف	السّنتميتر(سم)

٤-من التّلوينات الصّوتية للصوامت العربيّة لدى جلال الدّين السيّوطي.

يحتفظ الصّوت اللّغوي المجرد بملامحه المميّزة له، ولكنّه عندما يرد ضمن بنى لغوية وسياقات لغوية، تطرأ عليه تغيرات جراء تأثّره وتأثيره في الأصوات المجاورة له، فالأصوات سلسلة من اللّبنات التي يبنى نسيج اللّغة ولحمتها وعليه، سنحاول عرض ما جاء به السيوطي من التّشكيلات والتّلوينات الصّوتية الخاصّة بالصوامت، ومقارنتها مع ما جاء به الدّرس الصوتي الحديث ومن أهمّ هذه التلوينات الصوتية للصوامت العربيّة التي وردت في الإتقان، هي:

أ- تخفيف الهمز ويقابله في الدرس الصّوتي الحديث مصطلح تسهيل الهمزة أو بين بين.

ب- الادغام ويقابله في الدرس الصوتي الحديث المماثلة (أنيس ١٩٧١، ١٠٦).

جـ- الابدال ويقابله في الدّرس الصّوتي الحديث مصطلح المخالفة.

أ-تخفيف الهمز:

أشار علماء اللّغة العربيّة القدامى أنّ العرب استثقلت النّطق بالهمز في كلامها، وهذا ما بيّنه السيّوطي بقوله: "أعلم أنّ الهمز لما كان أثقل الحروف نطقًا، وأبعدها مخرجًا، تنوّع العرب في تخفيفه بأنواع التّخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفًا؛ ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم، كابن كثير من رواية ابن فُليح، وكنافع من رواية وَرْش، وكأبي عمرو، فإنّ مادة قراءته عن أهل الحجاز" (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠١).

مضمون هذا النصّ واضح وجليّ، فهو يبرز لنا بوضوح علاقة تخفيف الهمز بثقل النطق به وبعدّه المخرجيّ.

وعلى هذا الأساس، وضع السيّوطي (السيوطي ٢٠٠٧، ٢٠٢-٢٠١) أحكامًا لتّخفيف النطق بالهمز، وهي:

- نقل حركته إلى الساكن قبله فيسقط نحو: ﴿قَدَ أفلح﴾ [سورة المؤمنون:الآية:٠١] بفتح الدّال.
- الإبدال: بأنّ تُبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها وفتبدل ألفا بعد الفتح، نحو: ﴿قَدَ وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [سورة طه: الآية: ١٣٢] و واوًا بعد الضم نحو: ﴿يُومنون﴾ وياءً بعد الكسر، نحو: ﴿جِئْتَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٧١].

- التّسهيل بينها وبين حركتها.
- الاسقاط بلا نقل.

وبهذا يمكنّنا القول إنّ السيوطيّ يتّفق إلى حدّ ما مع الدّرس الصّوتي الحديث في مسألة عسر النطق بصوت الهمزة، والذّي يعدّ من أشقّ الأصوات نطقًا، وقد علل ذلك إبراهيم أنيس، بقوله: "ولا شك أنّ انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تمامًا ثم انفراج المزمار فجأة، عمليّة تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشدّ الأصوات، ومما جعل للهمزة أحكامًا مختلفة في كتب القراءات ليس هنا مجال تفصيلها" (أنيس ١٩٧١، ٧٧).

ويقول أيضا: "وإذا كانت الهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلي جعل اللهجات العربيّة تفرّ منها بتسهيلها مرة، وسقوطها مرة أخرى فمما لا شكّ فيه أن توالى همزتين أشق ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقهما" (أنيس ١٩٧١، ٧٩).

وقد وضّح هذه الظاهرة عبد القادر عبد الجليل، بقوله: "تعدّ بعض حالات التسهيل لهذا الصّوت في اللّغة العربيّة مظهرًا لهجيًا، لكن الهمزة تعدّ فونيما من فونيماتها، وعلى هذا فإنها لا تعدّ من حروف المباني، أي لها وجود قيمي داخل البنية التّركيبية، ففي إثباتها أو إسقاطها، لا تطرأ على الوحدة اللّغوية تغيّرات في المسار الدّلالي، وهذا الأمر يكاد يقتصر عليها دون بقية فونيمات اللغة العربيّة" (عبدالجليل ٢٠٠٥، ١٩٠).

وخلاصة القول إنّ ما قاله السيّوطي وما جاء به الدّرس الصّوتي الحديث فيما يخص تخفيف الهمز وتسهيله، يلتقيان في النّقاط الآتية:

- هو من قبيل اللّهجات.
- الاقتصاد في بذل الجهد العضلي.
- الخفّة في الكلام التي يجنح إليّها الناطق العربيّ في بيئات متعدّدة.

ب-الإدغام[1].

ورد تعريفٌ لمصطلح الإدغام في الإتقان عند السيّوطي أثناء حديثه عن الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب، فقال: "الإدغام هو اللّفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدّداً، وينقسم إلى كبير وصغير؛ فالكبير ما كان أو الحرفين فيه متحركاً؛ سواء كانا مثلين، أم جنسين، أم متقاربين. وسمّي كبيراً لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من سكون ... وقيل: لشموله نوعين المثلين والجنسين والمتقاربين. ووجهه طلب التّخفيف ... ونعني بالمتماثلين: ما اتفقا مخرجًا وصفة والمتجانسين: ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة. والمتقاربين: ما تقاربا مخرجًا أو صفة ... أمّا الصّغير فهو إدغام حرف من كلمة في حروف متعدّدة من كلمات متفرّقة" (السيوطي ٢٠٠٧، ١٩٢-١٨٩).

يتفق السيّوطي مع الدّرس الصّوتي الحديث في تعريف الإدغام، ولكن المحدثين يطلقون عليه مصطلح: المماثلة (أحمد مختار ١٩٨٥، ٣٧٨).

وقد عرّفه إبراهيم أنيس، فقال: "الإدغام هو عبارة عن فناء الصّوت الأول في الثّاني بحيث ينطق بالصّوتين صوتًا واحدًا كالثّاني" (أنيس ١٩٧١، ١١٦)، وعرّفه أيضا أحمد مختار عمر، بقوله: "على أنّه التعديلات التكييفية للصّوت بسبب مجاورته- ولا نقول ملاصقته- لأصواتٍ أخرى" (أحمد مختار ١٩٨٥، ٣٧٢)، ومن جهة ثانية يتّفق السيّوطي مع إبراهيم أنيس في بيان سبب الإدغام، حيث يقول هذا الأخير أنّه: "تيسيرٌ لعملية النطق، واقتصادٌ في الجهد العضليّ" (أنيس ١٩٧١، ١٤٠).

وتحدّث أحمد مختار عمر أيضا عن سبب الإدغام، فقال: "هو لتحقيق حدّ أدنى من الجهد عن طريق تجنّب الحركات النّطقية التي يمكن الاستغناء عنها" (أحمد مختار ١٩٨٥، ٣٨٧).

يهدف الإدغام إلى تسهيل عمليّة النّطق، فبدلا من استخدام المخرج نفسه مرّتين في اللحظة نفسها.

يوظّفه مرّة واحدة، أي بجهد أقل في وقت أقل.

[1] Assimilation

ومن نماذج تسهيل النّطق وتخفيف الكلام، ما أورده السيّوطي في باب الإدغام، فقال: "كلّ حرفين التقيا، أولهما ساكن، وكانا مثلين أو جنسين، وجب إدغام الأول منهما، لغة وقراءة ... والجنسان: نحو ﴿قالت طّائفة﴾ [آل عمران، ٧٢]" (السيوطي ٢٠٠٧، ١٩٤) ، تجاور صوتان التّاء من قالت والطّاء من طائفة، فتأثر الصّوت الأول بالصّوت الثاني فأدغم فيّه؛ وهذا ما يسمى عند إبراهيم أنيس بالتأثير الرجعي (أنيس ١٩٧١، ١٠٦). وهو ما يصطلح عليه علماء اللغة الغربيين[1].

موضوع الإدغام، مكرور في مجمل أمّات المصادر النّحويّة، وكتب كتب علم القرآن ومنها كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيّوطي (ت: ٩١١هـ)، وهذا الأخير أفذنا منه وأحلنا عليّه، ولنّا مع موضوع الادغام، الذّي هو ملتقى المستويات اللّسانيّة، فوقفنا عند مستواه الصّوتي وانتقلنا إلى ما يليه، وهو: الإبدال.

جـ-الابدال[2]:

اختصر السّيوطي حديثه في الإتقان عن الابدال بهذه الفقرة، فقال: "ففي الاسم المنصوب المنّون، يوقف عليّه بالألف بدلاً من التنوين مثله (إذن) وفي الاسم المفرد المؤنّث بالتّاء، يوقف عليه بالهاء بدلا منها. وفيما آخره همزة متطرفة بعد حركة أو ألف، فإنّه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها (حرف مدّ) من جنس ما قبلها. ثمّ إن كان ألفًا جاز حذفها ثم يقدّم أمثلة من القرآن الكريم نحو: ﴿أَقْرَءُوٓاْ﴾ [سورة العلق:٠١]، و﴿نَبِىء ﴾[الحجر: ٤٩]، و﴿يَبْدَؤُ﴾ [سورة الروم: ١١]، و ﴿من شاطئ﴾ [سورة القصص: ٠٣]، و "مِن ﴿مَّآءٍ﴾ " [سورة النّور: ٤٥]" (السيوطي ٢٠٠٧، ١٧٨).

وفي هذا النّص يوضح السّيوطي بعض الحالات التّي يقع فيّها الإبدال، وهي:

- في الوقف على الاسم المنصوب المنّون.

يوقف عليّه بالألف بدلاً من التّنوين، أي أنّ الألف تبدل من التّنوين في حالة الوقف، ويقول الدّاني: "فأما المنصوب المنوّن فإنه يبدل منه في حال الوقف ألفًا لخفّته" (الداني ١٩٩٧، ٦٠).

- في الوقف على التّاء في الاسم المفرد المؤنث.

ويوقف عليّها بالهاء بدلا منها، أي أنّ الهاء تبدل من التّاء في حالة الوقف.

- في الوقف على همزة المتطرّفة بعد حركة أو ألف. يوقف عليهما بحرف مدّ بدلاً منها؛ أي انّ حرف المدّ من جنس ما قبله يبدل من همزة متطرّفة بعد حركة أو ألف في حالة الوقف، ويجوز حذف حرف المدّ إنْ كان ألفًا.

نستشف من هذه الحالات الثّلاث في الإبدال أنّ السّيوطي عمل على تجاوز الثقل بإبدال التنوين بالألف، لتميّزه بالخفّة والاسترسال في النّطق، وسمي بالهاوي: لأنّه يهوي في الفمّ، فلا يعتمد اللّسان على شيء منها" (السيّوطي ١٩٩٨، ٤٥٦)، وقال سيبويه أيضا: "وهذه الثّلاثة أخفّ لاتّساع مخرجها وأخفاهن، وأوسعهن مخرجًا الألف" (سيبويه ١٩٩٩، ٤٣٦).

وأبدل أيضًا التّاء بحرف الهاء، ومسوغ هذا الإبدال هو خفّة وسرعة النّطق بالهاء، فالهاء رخو مهموس، والتّاء شديد مهموس.

وأما إبدال الهمزة المتّطرفة بحرف المدّ، فمسوغه السّهولة واليّسر أثناء التّلفظ، حيث إنّ الهمزة تتسم بثقل وصعوبة في النّطق، التّي أثبت لها هذه السّمات سيبويه في قوله: "نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد" (سيبويه ١٩٩٩، ٥٤٨) ويقول السّيوطي أيضا: "سمّي الهمز المهتوت من الهت، وهو عصر الصّوت لأنّها معتصرة كالتّهوّع، الذي يراد به التقيؤ كما ورد في القاموس المحيط (الفيروزآبادي ٢٠٠٥، ١٠٤) أو من الهتّ وهو الحطّم والكسر لأنّها يعرض لها الابدال كثيرًا فتنحطم وتنكسر" (السيّوطي ١٩٩٨، ٢٣٥).

[1] Régressive

[2] Disimilation

يبدو أنّ المسوّغ الصّوتي لهذه الحالات من الإبدال عند القدامى،يتدفق إلى حد ما مع المسوّغ الصّوتي لدى المحدّثين، حيث يعدّ إبراهيم أنيس "الألف" حرف مد هاوي ينتج حرًا طليقًا عن طريق مرور الهواء أثناء النّطق به. فتتيسر عمليّة التّلفظ، ويقتّصد الجهد العضلي (أنيس ١٩٧١، ١٣٢).

أما إبدال الهاء من التّاء – تاء التأنيث – في الاسم في حالة الوقف، فيعود ذلك إلى التّشابه الصّوتي الحاصل بينهما، فالتّاء تشبه الهاء في صفة الهمس، غير أنّ الهاء احتكاكيّة، والتّاء انفجارية، والاحتكاك أوضح في السّمع من الانفجار (النوري ٢٠٠٧، ٢٣٥).

وأما إبدال الألف من التنوين في الاسم المنصوب في حالة الوقف عند المحدثين، فهو إطالة للفتحة القصيرة، أي أنّ الفتحة القصيرة تتحول إلى فتحة طويلة يرمز لها ب (aa)، فيلتمس الناطق العربيّ الخفة في الوقف (أنيس ١٩٧١، ١٣٢)

في ختام هذه الدراسة التي تطرقت إلى أهمية الصوت اللغوي في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، تبين لنا مدى معرفة هذا الإمام بدقائق اللغة العربية وعلوم القرآن .فقد استطاع أن يجمع بين الجانب النظري والعملي في دراسته للصوت اللغوي، نظرا لما يملكه من بصيرة قرآنية ومهارة لغوية.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث ما يلي:

أ- استفاد السيّوطي (ت: ٩١١ه) من خبرة اللّغويّن القدامى، إضافة إلى استفادته من مؤلفات علم القراءات ككتاب "النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت: ٨٣٣ه).

ب- درس السيّوطي في الإتقان حروف اللّغة العربيّة، بأن عدّدها ووصف مخارجها، وحدّد صفاتها.

ت -وصف التّغيرات التركيبية التي تنحو فيها الأصوات نحو المماثلة والمخالقة[1]، تيسيرًا للنّطق واقتصادًا في الجهد العضلي.

ث-توافق الدّرس الصّوتي عند السيّوطي في الإتقان مع الدراسات الصّوتية الحديثة في بعض الجوانب وتباين في جوانب أخرى.

ح-فضل الصوت اللغوي في إدراك معاني القرآن: أكّد السيوطي أن للصوت اللغوي له دور كبير في فهم المعنى المراد من الآيات القرآنية.

خ-تنوع القضايا الصوتية التي تناولها جلال الدين السيوطي: شملت دراسته مجموعة واسعة من القضايا الصوتية، بدءًا من النطق بالحروف وانتهاءً بالإعراب والتجويد.

ج-أثر جلال الدين السيوطي في الدراسات القرآنية: فقد أصبح كتاب "الإتقان" مرجعًا أساسيًا للباحثين في علوم القرآن، ولا يزال يُدرس ويُدرس حتى يومنا هذا.

د-تجاوز السيوطي في دراسته للصوت اللغوي وصف الأصوات فقط، مبينا العلاقة العميقة القائمة بين الصوت والمعنى، وبين اللغة والقرآن .كما قدّم تصورات جديدة في العديد من القضايا الصوتية.

ذ-جمع السيوطي في كتابه بين المعرفة اللغوية العميقة والفهم الدقيق لعلوم القرآن .وقد كان كتابه "الإتقان" منارةً للباحثين في هذا المجال، حيث استفاد منه الكثيرون على مر العصور.

ر-أكّد هذا البحث أن السيوطي لم يكتف بدراسة القضايا الصوتية بشكل نظري فقط، بل ربطها بتطبيقات عملية متمثلة في إدراك معاني القرآن ومكنوناته، كما أنه وضّح رؤى جديدة في بعض القضايا الصوتية التي كانت محل خلاف بين العلماء.

عموما، يمكن القول إن دراسة الصوت اللغوي في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" تفتح آفاقًا جديدة لفهم القرآن الكريم وإدراك معانيه، ولا يحدث ذلك إلاّ بضرورة رجوعنا إلى المصادر الأصلية التي تعتبر نورا مضيئا لدراسة التراث اللغوي العربي وإحيائه من جديد، وتعليمه للأجيال القادمة.

[1] Assimilation Et Dissimilation

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

إبراهيم أنيس. (۱۹۷۱). الأصوات اللغوية (ط ۱). القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الجزري. (د.ت). النشر في القراءات العشر (تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. (۱۹۸۲). شرح الشافية (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، ط ۱). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. (۱۹۹۳). سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن الهنداوي، ط ۲، ج ۱). دمشق: دار القلم.

ابن خلدون. (۲۰۰٤). المقدمة (ط ۱، ج ۲). دمشق: دار البلخي.

أحمد مختار عمر. (۱۹۸۵). دراسة الصوت اللغوي (ط ۳). القاهرة: عالم الكتب.

أحمد مختار عمر. (۱۹۸۸). البحث اللغوي عند العرب (ط ٦). القاهرة: عالم الكتب.

الأنطاكي، محمد. (د.ت). الدراسات في فقه اللغة (ط ٤). مصر: دار الشرق العربي للطباعة والنشر.

برجشتراسر. (۱۹۹٤). التطور النحوي للغة العربية (ترجمة رمضان عبد التواب، ط ۲). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

جواد النوري. (۲۰۰۷). علم الأصوات العربية (ط ۱). فلسطين: منشورات جامعة القدس المفتوحة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (۲۰۰۲). كتاب العين (ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، ط ۱). بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون/دار الكتب العلمية.

سيبويه. (۱۹۹۹). الكتاب (تعليق إميل بديع يعقوب). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. (۱۹۵۵). أخبار النحويين البصريين (تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط ۱). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

السيوطي، جلال الدين. (۲۰۰۷). الإتقان في علوم القرآن (ضبطه وصححه محمد هاشم، ط ۱). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

السيوطي. (۱۹۹۸). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (تحقيق أحمد شمس الدين، ط ۱). بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون/دار الكتب العلمية.

عبد الجليل عبد القادر. (۲۰۰۵). الأصوات اللغوية (ط ۱). عمّان، الأردن: دار صفاء.

عبد الواحد بن علي بن أبي الشداد، وأبو محمد المالكي المالقي. (۲۰۰۳). شرح كتاب التيسير للداني في القراءات (تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد المعوض وأحمد عيسى المعصراوي، ط ۱). بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون/دار الكتب العلمية.

كمال البشر. (۲۰۰۰). علم الأصوات (ط ۱). القاهرة: دار غريب.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي) .۲۰۰۵ .(القاموس المحيط (تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط ۸). لبنان: مؤسسة الرسالة.

الداني، عثمان بن سعيد. (۱۹۹۷). المحكم في نقط المصحف (تحقيق عزة حسن، ط ۲). دمشق، سورية: دار الفكر.

محمد حسين علي الصغير. (۲۰۰۰). الصوت اللغوي في القرآن (ط ۱). بيروت، لبنان: دار المؤرخ العربي.

مكي درار. (۲۰۰٤). المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية .السانية، الجزائر: دار الأديب للنشر والتوزيع.

References

‘Abd al-Qadir, ‘Abd al-Jalil. (2005). *Al-Aswat al-Lughawiyyah*. Amman, Jordan: Dar Safa’.

‘Umar, A. Mukhtar. (1985). *Dirasat al-Sawt al-Lughawi*. Cairo, Egypt: ‘Alam al-Kutub.

‘Umar, A. Mukhtar. (1988). *Al-Bahth al-Lughawi ‘inda al-‘Arab*. Cairo, Egypt: ‘Alam al-Kutub.

Al-Antaki, Muhammad. (n.d.). *Al-Dirasat fi Fiqh al-Lughah*. Egypt: Dar al-Sharq al-‘Arabi.

Al-Bashir, Kamal. (2000). *‘Ilm al-Aswat*. Cairo, Egypt: Dar Gharib.

Al-Dani, ‘Uthman ibn Sa‘id. (1997). *Al-Muhkam fi Nuqt al-Mushaf* (A. Hassan, Ed.; 2nd ed.). Damascus, Syria: Dar al-Fikr.

Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad. (2002). *Kitab al-‘Ayn* (A. H. Hindawi, Ed.). Beirut, Lebanon: Muhammad ‘Ali Baydun & Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Al-Firuzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya‘qub. (2005). *Al-Qamus al-Muhit* (M. N. al-‘Arqususi, Ed.; 8th ed.). Lebanon: Mu’assasat al-Risalah.

Al-Nuri, Jawad. (2007). *‘Ilm al-Aswat al-‘Arabiyyah*. Palestine: Al-Quds Open University.

Al-Saghir, Muhammad Husayn ‘Ali. (2000). *Al-Sawt al-Lughawi fi al-Qur’an*. Beirut, Lebanon: Dar al-Mu’arrikh al-‘Arabi.

Al-Sirafi, Abu Sa‘id al-Hasan ibn ‘Abd Allah. (1955). *Akhbar al-Nahwiyyin al-Basriyyin* (T. al-Zayni & M. Khafaji, Eds.). Egypt: Maktabat Mustafa al-Babi al-Halabi.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1998). *Hama‘ al-Hawami‘ fi Sharh Jam‘ al-Jawami‘* (A. Shams al-Din, Ed.). Beirut, Lebanon: Muhammad ‘Ali Baydun / Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (2007). *Al-Itqan fi ‘Ulum al-Qur’an* (M. Hashim, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Anis, I. (1971). *Al-Aswat al-Lughawiyyah* [Arabic Phonetics]. Cairo, Egypt: Maktabat al-Anglo al-Misriyya.

Bergstrasser, G. (1994). *Arabic Linguistic and Grammatical Development* (R. ‘Abd al-Tawwab, Trans.; 2nd ed.). Cairo, Egypt: Maktabat al-Khanji.

Derrar, Makki. (2004). *Al-Mujmal fi al-Mabahith al-Sawtiyyah min al-Athar al-‘Arabiyyah*. Al-Saniya, Algeria: Dar al-Adib.

Ibn Abi al-Shaddad, ‘Abd al-Wahid, & Al-Malqi, Abu Muhammad al-Malaki. (2003). *Sharh Kitab al-Taysir li-l-Dani fi al-Qira’at* (A. ‘Abd al-Mawjud, ‘A. al-Mu‘awwadh, & A. al-Masrawi, Eds.). Beirut, Lebanon: Muhammad ‘Ali Baydun / Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn al-Hajib, Radi al-Din Muhammad ibn al-Hasan al-Istarabadi. (1982). *Sharh al-Shafiyah* (M. M. ‘Abd al-Hamid et al., Eds.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn al-Jazari. (n.d.). *Al-Nashr fi al-Qira'at al-‘Ashr* (A. M. al-Dabba‘, Ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn Jinni, Abu al-Fath ‘Uthman al-Mawsili. (1993). *Sirr Sina‘at al-I‘rab* (H. al-Hindawi, Ed.; Vol. 1). Damascus, Syria: Dar al-Qalam.

Ibn Khaldun. (2004). *Al-Muqaddimah* (Vol. 2). Damascus, Syria: Dar al-Balkhi.
Sībawayh. (1999). *Al-Kitab* (I. B. Ya'qub, Annot.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

HOW TO CITE THIS ARTICLE
Sahwaj, M. & Ikni, O. (2024). Linguistic Phonetics in *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an* by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH). *LANGUAGE ART*, *9*(3):21-38, Shiraz, Iran. [in Arabic]
DOI: 10.22046/LA.2024.14
URL: https://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/356

Language Art, 9(3): pp. 21-38, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.14 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۹، شماره ۳، سال ۲۰۲۴، از صفحه ۲۱ تا ۳۸

صوت زبانی در کتاب «الاتقان فی علوم القرآن» اثر جلال الدین سیوطی (متوفی ۹۱۱ ق)

دکتر محمد سحواج[1]©
استاد، گروه زبان و ادب عربی، دانشگاه حسیبه بن بوعلی الشلف،
الشلف، الجزایر.

دکتر عمر إکنی[2]
دانشکدهٔ ادبیات و هنر، دانشگاه حسیبه بن بوعلی الشلف،
الشلف، الجزایر.

(تاریخ دریافت: ۱۰ بهمن ۱۴۰۱؛ تاریخ پذیرش: ۵ شهریور ۱۴۰۳؛ تاریخ انتشار: ۱۱ شهریور ۱۴۰۳)

زبان نظامی آوایی است که انسان‌ها به‌وسیلهٔ آن و با بهره‌مندی از نعمت‌های بی‌شماری که خداوند در ساختار اندام‌های گویشی به آنان ارزانی داشته، با یکدیگر ارتباط برقرار می‌کنند؛ اندام‌هایی که تنها آن‌ها قادر به انجام این کارکرد ارتباطی‌اند. بر این اساس، پژوهش حاضر را بر پایهٔ یک مطالعهٔ توصیفی ـ تحلیلی در موضوع «صوت زبان» در کتاب الإتقان فی علوم القرآن اثر جلال‌الدین سیوطی (متوفای ۹۱۱هـ) سامان دادیم، با هدف استخراج مجموعه‌ای از مباحث مرتبط با آوای زبان که سیوطی در کتاب خود به آن‌ها پرداخته است. بررسی‌ها نشان داد که این مباحث به دو حوزهٔ «علم قرائات» و «علم الأصوات» تعلق دارد. ما در این پژوهش رویکرد زبان‌شناسی آوایی نوین را، که از سوی دانشمندان معاصر دنبال می‌شود، به کار گرفتیم و در نهایت به این نتیجه رسیدیم که این اثر در شمار منابع ارزشمند این حوزه قرار می‌گیرد و دانش نوین و معاصر بی‌نیاز از آن نیست.

واژه‌های کلیدی: صوت زبان، سیوطی، علم قرائات، علم اصوات، الإتقان فی علوم القرآن.

©(نویسنده مسؤول)
[1]E-mail: m.sahouadj@univ-chlef.dz
[2]E-mail: o.ikni@univ-chlef.dz

Language Art, 9(3): pp. 21-38, 2024, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2024.14 DOR:
Article No.: 93.22.140306.2138

ORIGINAL RESEARCH PAPER

Linguistic Phonetics in *al-itqan fi ulum al-Quran* by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH)

Dr. Mohamed Sahwaj[1]©
Professor, Department of Arabic Language and Literature, Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Chlef, Algeria.

Dr. Omar Ikni[2]
Faculty of Letters and Arts, Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Chlef, Algeria.

(Received: 30 January 2023; Accepted: 26 August 2024; Published: 1 September 2024)

Language is a phonetic system through which humans communicate with one another, by virtue of the countless blessings God has endowed them with—particularly the speech organs that alone are capable of performing this communicative function. Accordingly, we structured this research as a descriptive–analytical study on the subject of linguistic sound in *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an* by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), with the aim of identifying the various phonetic issues addressed by al-Suyuti in his work. Our findings show that these issues belong to two main fields: Qur'anic recitation studies (*'ilm al-qirā'āt*) and phonetics (*'ilm al-aṣwāt*). Following the methodological principles of modern phonetic analysis as adopted by contemporary scholars, we concluded that this work stands as one of the valuable references in this domain, and remains indispensable to modern and contemporary linguistic science.

Keywords: Linguistic Phonetics, Al-Suyuti, Qur'anic Recitation Studies, Phonetics, Al-Itqan Fi 'Ulum Al-Qur'an.

[1] E-mail: m.sahouadj@univ-chlef.dz ©(Corresponding Author)
[2] E-mail: o.ikni@univ-chlef.dz